

بين التّوطين والتّغريب:

استراتيجيات ترجمة العناصر الثقافية في قصص مكتبة الفانوس

نجلاء غنّام¹

الملخص

تتناول هذه الدراسة استراتيجيات ترجمة العناصر الثقافية الخاصّة (Culture-Specific Items - CSIs) - في قصص الأطفال التي تُرجمت من الإنجليزية إلى العربية ضمن مشروع "مكتبة الفانوس"، وهو مشروع تربويّ ثقافيّ يستهدف الأطفال العرب في إسرائيل. تنطلق الدراسة من فرضية أنّ اختيار استراتيجيات الترجمة، ولا سيّما التّوطين، نابع من رغبة واعية في الحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية للأقلية العربية الفلسطينية داخل إسرائيل. ومع ذلك، تكشف نتائج البحث عن عوامل أخرى ذات تأثير كبير في اتّخاذ القرار الترجميّ، من بينها اعتبارات تربوية، وتوجّهات تحريرية، ومعايير مؤسسية، بالإضافة إلى وجود جمهور مزدوج يتمثّل في الأطفال من جهة، والبالغين -ممثّلين بالمعلّمين والأهل- من جهة أخرى. اعتمدت الدراسة منهجًا مختلطًا يجمع بين تحليل كميّ لـ 3 كتابًا مترجمًا نُشر بين 2017 و2020 باستخدام تصنيفات نيومارك للعناصر الثقافية وتصنيف تشيستمان لاستراتيجيات الترجمة²، إلى جانب تحليل نوعيّ لمقابلات مع مترجمين ومحزّرين. تُظهر النتائج هيمنة واضحة لاستراتيجيات التوطين مثل الاستعاضة بعناصر مألوفة ثقافيًا، والتصنيفية الثقافية، وتغيير المعلومات، إلا أنّ هذه الاستراتيجيات لا يمكن اختزالها في مجرد حرص ثقافيّ، بل تعكس مزيجًا معقدًا من الاعتبارات السياقية والسياسية والمؤسسية. وفي المقابل، يرصد البحث تيارًا أقلية من المترجمين الشباب ذوي التوجّهات العالمية، الذين يفضلون أحيانًا استراتيجيات التغريب من منطلق تربويّ يهدف إلى توسيع أفق الطفل العربيّ وتعرّيبه لتجارب ثقافية مختلفة. تؤكد الدراسة أنّ الترجمة في هذا السياق ليست مجرد عملية لغوية، بل هي ممارسة ثقافية محمّلة بالمعاني السياسية والتربوية والاجتماعية، تقع عند تقاطع الترجمة والتعليم والسياسة الثقافية.

¹ دكتوراه، جامعة بار إيلان، أطروحة الدكتوراه أنجزت تحت إشراف د. هيليا كراس وأ. د. راحيل فايزبرود.

² انظر: P. Newmark, *A Textbook of Translation* (Hertfordshire: Prentice Hall, 1988).

95; A. Chesterman, *Memes of Translation* (Amsterdam: J. Benjamins, 2016)., 89

الكلمات المفتاحية: ترجمة أدب الأطفال، العناصر الثقافية الخاصة، مكتبة الفانوس، التوطين والتغريب، الأقلية العربية في إسرائيل.

المقدمة

لا تُعدّ ترجمة أدب الأطفال عملية لغوية خالصة، بل هي مشروع ثقافي وأيديولوجي بامتياز، يتداخل فيه ما هو لغويّ بما هو اجتماعي وتربوي وسياسي. ففي سياقات الأقليات، حيث اللغة هي أحد أعمدة الهوية، تصبح كلّ كلمة مترجمة وكلّ قرار لغويّ محملاً بمعانٍ تتجاوز البعد السطحيّ للنقل بين اللغات. ولعلّ ذلك يظهر جلياً في حالة الأقلية العربية في إسرائيل، حيث تُمارس الترجمة ضمن واقع لغويّ وسياسيّ هشّ، يتّسم بازدواجية لغوية (بين الفصحى والعامية)، وبتراجع مكانة اللغة العربية في المجال العامّ بعد سنّ "قانون القومية" عام 2018. ضمن هذا السياق، تأتي "مكتبة الفانوس" كمشروع تربويّ وثقافيّ يهدف إلى تعزيز مهارات اللغة العربية لدى الأطفال العرب، من خلال توزيع كتب مترجمة ومؤلفة بالغة العربية الفصحى، ولكنّ هذه الترجمة لا تتمّ في فراغ، بل تقع في قلب صراع هوياتيّ يتجسد في اختيار المترجمين لاستراتيجيات الترجمة، خاصّة في التعامل مع العناصر الثقافية الخاصة (CSIs) التي لا تجد لها مقابلاً مباشراً في ثقافة الهدف.

تسعى هذه الدراسة إلى فهم كيفية تعامل مترجمي "مكتبة الفانوس" مع هذه العناصر، وما هي الاستراتيجيات التي يعتمدها، وما الدوافع الكامنة وراء اختياراتهم. للإجابة عن هذه الأسئلة، تعتمد الدراسة على تحليل مدوّنة تتكون من 31 كتاباً مترجماً من الإنجليزية إلى العربية، إلى جانب مقابلات نوعية مع مترجمين ومحررين عاملين في المشروع. يدمج التحليل بين المنظور النصّي والتحليل السياقي، لفهم الترجمة بوصفها ممارسة اجتماعية مشروطة بمحدّات ثقافية ومؤسسية.

الخلفيّة النظريّة

1. اللّغة العربيّة في إسرائيل

تُعدّ اللّغة العربيّة من بين أكثر اللغات انتشاراً في العالم، إذ يتحدث بها ما يقارب 300 مليون شخص في اثنتين وعشرين دولة عربيّة، حيث تحتلّ موقع اللّغة الرسميّة والمهيمنة في مختلف مجالات الحياة، من الإدارة إلى التعليم والإعلام³. وأمّا الوضع في إسرائيل فيخرج عن هذا النمط الإقليميّ العام، فتعمل اللّغة العربيّة كلغة أقلّيّة، تعكس المكانة الاجتماعيّة والسياسيّة الخاصّة التي تحتلّها الأقلّيّة العربيّة الفلسطينيّة داخل دولة ذات طابع عبري-يهودي، بالإضافة إلى السياق الأوسع للصراع الإسرائيليّ-العربيّ.

لقد شكّلت لحظة إقرار "قانون القوميّة" في الكنيست الإسرائيليّ عام 2018 تحولاً فارقاً في مكانة اللّغة العربيّة. فقد نصّ هذا القانون على أنّ إسرائيل هي الدولة القوميّة للشعب اليهودي، وأنّ اللّغة العربيّة هي اللّغة الرسميّة الوحيدة للدولة، في حين أسقطت العربيّة من هذا الاعتراف الرسميّ، واكتُفي بمنحها "مكانة خاصّة" دون أي تبعات عمليّة ملزمة. وبهذا، فقدت اللّغة العربيّة رسمياً موقعها كلغة رسميّة متساوية بالعبريّة، رغم كونها لا تزال اللّغة الأمّ لما لا يقلّ عن 20% من سكان إسرائيل⁴.

في هذا السياق، يؤكّد أمانة أنّ اللّغة العبريّة تهيمن بشكل كامل على الحياة العامّة في إسرائيل، بينما تبقى العربيّة ضروريّة فقط للعرب، ولا تلعب سوى دور هامشيّ في الحيّز

³ انظر: I. Al-Huri, "Arabic Language: Historic and Sociolinguistic Characteristics",

English Literature and Language Review 1/ 4 (2015): 28

⁴ انظر: E. Lavie, *Integrating the Arab-Palestinian Minority* (Ramat Aviv: INSS, 2018),

العامّ الوطني⁵. ويذهب أبعد من ذلك ليشير إلى أنّ المواطنين العرب، على الرغم من تطوّرهم في سياق ثنائيّ اللغة والثقافة (عربيّة-عبريّة)، فإنّهم ما زالوا يرون العربيّة من أقوى العلامات الفارقة لهويّتهم العربيّة-الفلسطينيّة، والحفاظُ عليها يمثّل وسيلةً للحفاظ على هويّتهم القوميّة والانتمائيّة.

تُستخدم اللغة العربيّة في إسرائيل بشكل أساسيّ في السياقات غير الرسميّة، كالتواصل داخل العائلة، وبين الأصدقاء، وفي الأحياء والمدارس العربيّة، وهي تُنقل شفويّاً من جيل إلى جيل. ولكنّ التعليم العربيّ في إسرائيل لم يُعامل العربيّة دومًا بوصفها لغة قوميّة وهويّة. فحتى عام 1980، كانت المناهج الدراسيّة في المدارس العربيّة تُعدّ العربيّة لغة أجنبيّة، تُدرّس بمعزل عن سياقها الثقافي والاجتماعي، دون التعامل معها كلغة أم أو كوسيلة للتعبير الذاتي أو الانتماء⁶. وقد افتقرت هذه المناهج إلى الكتب والموارد التعليميّة المناسبة، سواء للطلاب أو للمعلّمين.

أما اليوم، فتُدّرّس ثلاث لغات في المدارس الفلسطينيّة داخل إسرائيل: العربيّة الفصحى كلغة تعليم رئيسيّة، والعبريّة كلغة ثانية، والإنجليزيّة كلغة أجنبيّة⁷. وعلى الرغم من هذا التعدّد، إلا أنّ الباحث بواردي يصف وضع تعليم اللغة العربيّة في هذه المدارس بأنّه كارثي، مشيرًا إلى تراجع مستمرّ في مكانة الفصحى، لا إلى تحسّن أو حتى استقرار⁸. ويُعزى هذا

⁵ انظر: M. Amara, "The Vitality of the Arabic Language in Israel", *Adalah's Newsletter* 29 (2006): 3.

⁶ انظر: M. Amara, "The Place of Arabic in Israel", *International Journal of the Sociology of Language* 158 (2002): 14.

⁷ انظر: Ibid.

⁸ انظر: بي. بواردي، "الهرורים على هورات السفرات بين كوتلي بتي הספר הערביים בישראל: הטקסט הספרותי הערבי כמכניזם לשינוי תרבותי"، בתוך התפתחות לשונית בקרב דוברי

التراجع، بحسبه، إلى عدّة أسباب، منها الطبيعة الازدواجيّة للغة (diglossia)، وكونها لغة أقلّيّة في سياق مهيمن، بالإضافة إلى تأثير العولمة. وقد أسهمت هذه العوامل في نشوء "سوسيو-لكت" (sociolect - "لهجة اجتماعيّة" أو سياق لغويّ اجتماعيّ) فريد في أوساط الشباب العرب في إسرائيل، يختلف عن كلّ من الفصحى العاميّة التقليديّة.

مع أنّ العربيّة الفصحى تُعدّ اللغة الرسميّة للتعليم، فهي لا تُستخدم في الحياة اليوميّة. فالعرب في إسرائيل يتحدثون لهجات فلسطينيّة متنوّعة تتأثّر كثيراً باللغة العبريّة، سواء من حيث المفردات أو التركيبات النحويّة. ومع انخفاض المكانة النسبيّة للعربيّة في البلاد، يلجأ المواطنون العرب لاستخدام العبريّة في كثير من المواقف، ليس فقط لسدّ الفجوات اللغويّة التي تنشأ نتيجة غياب المكافئ في الفصحى، بل أيضاً بدافع الرغبة في الاندماج والتماهي مع الأغليبيّة اليهوديّة⁹.

يشير أمارة إلى أنّ هذا الواقع يخلق ضغطاً كبيراً نحو "العبرنة (Hebraization)"، فتتغلغل العبريّة في مختلف مناحي الحياة، بما في ذلك بين الفلسطينيين أنفسهم داخل إسرائيل¹⁰. وتُفاقم ظاهرة الازدواجيّة اللغويّة هذا الوضع، إذ تصبح العربيّة الفصحى لغة رسميّة غير مستخدمة، بينما تسود العاميّة المتأثّرة بالعبريّة في التواصل اليوميّ. وقد لاحظ أمارة كذلك أنّ المواطنين العرب في إسرائيل يُظهرون ميلاً قوياً لاستخدام التحوّل اللغويّ (code-switching) من العربيّة إلى العبريّة في العديد من السياقات مثل التسوّق والتعليم والعمل في البناء¹¹.

عربيت בחברה רב-לשונית, בעריכת ב'. מחויל וג'. اولשטיין (تل ابڤب: מכון מופ"ת, 2018),

.155

⁹ انظر: Amara, "The Place of Arabic in Israel", 15.

¹⁰ انظر: Amara, "The Vitality of the Arabic Language in Israel", 8.

¹¹ انظر: M. Amara, "Ivrit Loanwords in Arabic", in *Encyclopedia of Arabic Language*

and Linguistics 2 (Leiden: Brill, 2006), 4

ومع أنّ العبريّة أقلّ انفتاحاً لغويّاً من العبريّة، فقد دخلت إلى المحكيّة العربيّة في إسرائيل آلاف المفردات العبريّة، كما لاحظ مرعي¹². ويشير كلّ من أمارة وهنكين إلى أنّ هذا التحوّل اللغويّ واقتراض الكلمات العبريّة يؤدّي وظيفة اجتماعيّة لغويّة، ويُستخدم أساساً في المحادثات الشفويّة، لا المكتوبة¹³.

وقد لاحظت روزنهاوس كذلك كثرة استعارة مفردات إنجليزيّة في العبريّة المحكيّة الفلسطينيّة، لكن عن طريق اللغة العبريّة، ما يجعل من الصعب تتبّع مدى تغلغل الإنجليزيّة نفسها في المحكيّة¹⁴.

على المستوى النظريّ، وصف فيرغسون ظاهرة الازدواجيّة بأنّها تحدث في مجتمعات تستخدم تنويعات لغويّة مختلفة في سياقات مختلفة¹⁵. ففي المجتمعات العربيّة، مثلاً، تُستخدم اللهجات المحليّة في البيت وفي السياقات غير الرسميّة، بينما تُستخدم الفصحى في المناسبات الرسميّة والتعليم والخطاب الديني. وفي إسرائيل، تتعدّد اللهجات العاميّة بين المناطق الحضرية والريفية، وتختلف عبر مناطق الجليل، والمثلث، والنقب، وغيرها.

وبما أنّ هذا البحث يتناول كتباً موجّهة للأطفال ومستخدمه في السياقات التعليميّة الرسميّة، فإنّ الفصحى (MSA) هي الأكثر ارتباطاً بموضوع البحث. ومع ذلك، تُظهر بعض

¹² انظر: عبد الرحمن مرعي، "تأثير العبريّة على اللغة العربيّة"، مجلة الرسالة، كفار سابا: الكليّة الأكاديميّة بيت بيرل، العددان 11-12 (2002): 142.

¹³ انظر: R. Henkin, "Hebrew Loanwords in Amara, "Ivrit Loanwords in Arabic", 6; R. Henkin, "Hebrew Loanwords in Modern Arabic", in *Encyclopedia of Hebrew Language and Linguistics* 1 (Leiden: Brill, 2013), 155.

¹⁴ انظر: J. Rosenhouse, "Colloquial Arabic (in Israel)", in *Globally Speaking*, eds. J. Rosenhouse and R. Kowner (Clevedon: Multilingual Matters, 2008), 148.

¹⁵ انظر: C. Ferguson, "Diglossia", in *Language and Social Context*, ed. Pier Paolo Gigliolo (New York: Penguin, 1972), 325.

الكتب المدرّسة تداخلاً بين الفصحى والعاميّة، مما يُبرز النقاش الدائم بين المترجمين حول ضرورة اختيار السّجل اللغويّ المعتمد. فمع أنّ الفصحى تبقى الشكل المسيطر في الأدب والتعليم بفضل مكانتها الرسميّة ومدى فهمها في العالم العربيّ، يرى بعض المترجمين أنّ العاميّة قد تكون أكثر جاذبيّة للأطفال وأكثر ارتباطاً بعالمهم اليوميّ.

2. التّقافة وترجمة العناصر الثقافيّة الخاصّة

لطالما اعتُبرت الترجمة في الدراسات التقليديّة عمليّة نقل لغويّ بحت، غير أنّ تطوّر الدراسات الترجميّة، لا سيّما منذ النصف الثاني من القرن العشرين، كشف عن أنّ الترجمة ليست مجرد عمليّة لغويّة، بل هي الأساس لنشاط ثقافيّ. فكما يشير فيرمير، اللغة ليست أداة تواصل منعزلة عن الثقافة، بل جزء لا يتجزأ منها، وبالتالي فإنّ أيّ فعل ترجميّ يستدعي بالضرورة الانتباه إلى العناصر الثقافيّة التي تتخلّل النصوص¹⁶. ومن هذا المنطلق، تدعو الباحثة ليهيّمه إلى التعامل مع النصوص المصدر والهدف ليس فقط كنصوص لغويّة، بل كبنى ثقافيّة تستدعي من المترجم أن يُراعي الاختلافات الثقافيّة بين جمهور اللغة الأصليّة وجمهور اللغة الهدف، بهدف تقديم نصّ مترجم يخاطب المتلقّي بطريقة ملائمة وسياقيّة¹⁷. وعلى الرغم من كثرة التعريفات المقترحة لمفهوم "الثقافة" في الأدبيّات، يتبنى فيرمير تعريف غرينغ بوصفه الأساس النظريّ الأقرب له، فيرى أنّ الثقافة هي مجموع القواعد والأنماط السلوكيّة التي تنظّم الحياة الاجتماعيّة ونتائجها. أما نيومارك فيُعرّف الثقافة من منظور أنثروبولوجي، بوصفها "أسلوب حياة وبيئة خاصّة بسكان منطقة جغرافيّة معيّنة،

¹⁶ انظر: H. Vermeer, "Is Translation a Linguistic or a Cultural Process?", *Itha Do.*

Desterro 28 (1992): 37

¹⁷ انظر: R. Leppihalme, *Culture Bumps* (Helsinki: University of Helsinki, 1994), 2.

تحدّدها حدود لغتهم، وتنعكس من خلال لغة واحدة¹⁸. في حين يُقدّم لارسن تعريفاً أدق، يرى فيه أنّ الثقافة تتكوّن من "مجموعة معقّدة من المعتقدات والمواقف والقيم والقواعد التي يشترك فيها أفراد جماعة معيّنة"¹⁹.

تُرافق هذه التعدّدية في تعريف الثقافة تباينات في المفاهيم المصطلحيّة التي يستخدمها الباحثون للإشارة إلى العناصر الثقافيّة الخاصّة. تصف بكر هذه العناصر بأنّها مفردات في لغة المصدر تُعبّر عن مفاهيم قد تكون غير معروفة كليّاً في ثقافة اللغة الهدف. وقد تكون هذه المفاهيم ملموسة أو مجردة، دينيّة أو اجتماعيّة أو حتى غذائيّة. ولهذا السبب، تُطلق بكر على هذه العناصر اسم "عناصر ثقافيّة خاصّة (Culture-Specific Items, CSIs)"²⁰. وأمّا نيومارك فيستخدم مصطلح "كلمات ثقافيّة (Cultural Words)"، ويشير إلى أنّها غالباً ما تكون كلمات ملحوظة تظهر كأنّها وحدات قائمة بذاتها، لا تقبل الترجمة الحرفيّة²¹.

في المقابل، يفضل باحثون آخرون استخدام مصطلحات مغايرة مثل مصطلح "cultureme" الذي استخدمه نورد وفيرمير²²، أو "realia" الذي استخدمته ليبهالمه²³، لا

¹⁸ P. Newmark, "Translation and Culture", in *Meaning in Translation*, ed. B. Lewandowska-Tomaszczyk (Frankfurt: Peter Lang GmbH, 2010), 173.

¹⁹ M. L. Larson, *Meaning-Based Translation* (Lanham, MD: University Press of America, 1984), 431.

²⁰ انظر: M. Baker, *In Other Words* (London: Routledge, 1992), 21.

²¹ انظر: Newmark, *A Textbook of Translation*, 94; "Translation and Culture", in *Meaning in Translation*,: 174.

²² انظر: Vermeer, "Is Translation a Linguistic or a Cultural Process?", 38; C. Nord, *Translating as a Purposeful Activity* (London: Routledge, 1997), 34

²³ انظر: R. Leppihalme, "Relia," in *Handbook of Translation Studies: Volume 2*, ed. Luc van Doorslaer and Yves Gambier (Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, 2011), 126.

سيّما عند الإشارة إلى العناصر المادّية المرتبطة بثقافة معيّنة. تُقدّم هذه الاختلافات الاصطلاحية دليلاً على مدى مركزية هذه العناصر في الدراسات الترجميّة، ومدى تعقيد التعامل معها نظرياً وتطبيقياً.

من بين التصنيفات الأكثر تفصيلاً للأصناف المختلفة من العناصر الثقافيّة، نجد تصنيف نيومارك²⁴، والذي يتضمّن خمس فئات رئيسيّة:

1. البيئة الطبيعيّة (ecology): وتشمل المناخ، التضاريس، النباتات، الحيوانات وغيرها.
2. الثقافة المادّية (material culture): مثل الطعام، الملابس، وسائل النقل، المعمار.
3. الثقافة الاجتماعيّة (social culture): مثل أنماط العمل، أوقات الفراغ، العلاقات الاجتماعيّة.
4. المنظمات والعادات والمفاهيم (organizations, customs, concepts): مثل النظم السياسيّة والدينيّة والفنيّة.
5. الإيماءات والعادات الجسديّة (gestures and habits)

وقد تبنت هذه الدراسة تصنيف نيومارك بوصفه الإطار النظريّ الأوضح لتحديد طبيعة العناصر الثقافيّة، وطريقة التعامل معها ترجمياً، خصوصاً أنّ تصنيفه يسمح بتحليل أكثر دقةً لتنوع العناصر الثقافيّة وطرق معالجتها في النصوص الأدبيّة، وهو ما تقتضيه طبيعة الدراسة التي تتناول أدب الأطفال المترجم.

لكنّ التحديّ لا يقف عند حدود تحديد العناصر الثقافيّة، بل يمتدّ إلى وضع استراتيجيات لترجمتها. إذ تشير بورتين إلى أنّ المعايير الترجميّة (translational norms) هي التي تحدّد شكل العمليّة منذ اختيار النصّ الأصليّ إلى آليّة نقله، وهي تخضع في الأساس إلى

²⁴ انظر: A Textbook of Translation, 95

خصائص ثقافة الهدف واحتياجات جمهورها²⁵. ومن هنا، فإنّ المترجم لا يعمل داخل فراغ لغويّ، بل يُوجّه خياراته وفق منظومة من القيم والسياقات والنُظم الثقافية. مع ذلك، لا تخضع جميع قرارات المترجم للسياقات الثقافية فقط، بل قد تتأثر أيضاً بما تسميه بكر "العموميّات الترجميّة (translation universals)"، وهي خصائص لغويّة تظهر في النصوص المترجمة بغضّ النظر عن اللغتين المعنيّتين، وتنتج عن العمليّة الترجميّة نفسها²⁶. يشير كاتفورد إلى أنّ الفجوة الثقافيّة بين لغتي المصدر والهدف تزيد من صعوبة نقل المعنى، وأنّ هناك حالات تصبح فيها الترجمة غير ممكنة جزئياً، بسبب عدم وجود مكافئ مناسب في اللغة الهدف دون أن يبدو غريباً أو غير طبيعيّ²⁷. وهذا التحديّ يتعاظم في ترجمة أدب الأطفال، كما توضّح لاتي، بسبب محدوديّة معرفة الأطفال بالعالم والثقافات الأخرى، مما يزيد من صعوبة تمرير العناصر الثقافيّة الغريبة عنهم²⁸.

لهذا، يرى نيومارك أنّ العناصر الثقافيّة تُعدّ "أكبر عائق أمام الترجمة"²⁹، ويستلزم التعامل معها تفكيراً استراتيجياً واعياً. يُعرّف لورشير الاستراتيجيّة الترجميّة بأنّها "إجراء

²⁵ انظر: T. Puurtinen, "Translating Children's Literature", in *The Translation of*

Children's Literature, ed. G. Lathey (Clevedon: Multilingual Matters, 2006), 54

²⁶ انظر: M. Baker, "Corpus Linguistics and Translation Studies: Implications and

Applications." *Text and Technology: In Honour of John Sinclair*, edited by Mona

Coulthard and Malcolm Short (John Benjamins, 1993), 243

²⁷ انظر: J. C. Catford, *A Linguistic Theory of Translation* (London: Oxford University

Press, 1965), 101

²⁸ انظر: G. Lathey, *The Translation of Children's Literature* (Clevedon: Multilingual

Matters, 2006), 7

²⁹ Newmark, "Translation and Culture", 173.

محتمل الوعي لحلّ مشكلة يواجهها الفرد أثناء ترجمة مقطع من نصّ بين لغتين³⁰، وهو تعريف يتّفق معه كرينغس الذي يُبرز عنصر التخطيط في حلّ المشكلات الترجميّة³¹.

في هذا السياق، يضع فينوتي تمييزاً محوريّاً بين استراتيجيّتين أساسيّتين: التوطين (Domestication) والتغريب (Foreignization)، فبينما يُعرّف التوطين بوصفه "ردماً عرقيّاً للنصّ الأجنبيّ إلى القيم الثقافيّة للغة الهدف"، يصف التغريب بأنّه "ضغط إثنيّ انحرافيّ على تلك القيم لتسجيل الفرق اللغويّ والثقافيّ للنصّ الأجنبيّ"³². هذا الانقسام يُعبّر عن الخيار الثقافيّ الذي يُجبر المترجم على اتخاذه أمام كلّ عنصر ثقافيّ: هل يُبقي عليه ويُبرز غرابته (تغريب)، أم يُكيّفه ليتلاءم مع خلفيّة القارئ المحليّ (توطين).

تتعدّد التصنيفات المتعلقة باستراتيجيّات الترجمة بحسب الباحثين. فقد اقترح كلّ من نيومارك، وفينائي ودارلينييه، وبكر، وتشسترمان، قوائم مختلفة لمعالجة هذه الإشكاليّات³³. وبخلاف التباين في التسمية والتصنيف، يتقاطع الجميع في الاعتراف بأنّ المترجم لا بدّ أن يختار ما بين تغيير الشكل، أو تغيير المعنى، أو تغيير الرسالة ذاتها لتتلاءم مع ثقافة الهدف.

³⁰ W. Lörcher, *Translation Performance* (Tübingen: Gunter Narr, 1991), 76.

³¹ انظر: H. P. Krings, "Translation Problems and Strategies", in *Interlingual and Intercultural Communication*, eds. J. House and S. Blum-Kulka (Tübingen: Gunter Narr, 1986), 268.

³² انظر: L. Venuti, *The Translator's Invisibility* (London and New York: Routledge, 1995), 20.

³³ انظر: J.-P. Newmark, *A Textbook of Translation*, 81; Baker, *In Other Words*, 23; Vinay and J. Darbelnet, *Comparative Stylistics of French and English* (Philadelphia: J. Benjamins, 1995), 85; Chesterman, *Memes of Translation*, 85.

من بين هذه النماذج، تعتمد هذه الدراسة إطار تشسترمان الذي قسّم الاستراتيجيات إلى ثلاث فئات: نحوية/ تركيبية، ودلالية، وبراغماتية³⁴. وتركز هذه الدراسة بشكل خاص على التغييرات التي تطرأ على المستوى البراغماتي، أي تلك التي تُراعي القارئ وبيئته وسياقه التربوي، نظرًا إلى طبيعة النصوص المدروسة.

المنهجية

- منهجية البحث: تحليل كمي ونوعي

لتحقيق نتائج دقيقة، اعتمد هذا البحث منهجًا مزدوجًا يجمع بين التحليل الكمي والنوعي. يتيح هذا الدمج فهمًا أكثر شمولًا للأسئلة البحثية. بدأت الدراسة بتحليل كمي منهجي لعدد من القصص المترجمة في إطار "مكتبة الفانوس"، بلغ عددها 31 قصة. جرى تحديد العناصر الثقافية الخاصة (CSIs) وتصنيفها وفق تصنيف نيومارك واستراتيجيات الترجمة بحسب نموذج تشيسترمان³⁵. هدف هذا الجزء هو رصد أنواع العناصر الثقافية، وتحديد كيف تعاملت الترجمات معها، والاستراتيجيات المستخدمة في كل حالة.

بعد التحليل الكمي، أجريت مقابلات نوعية مع مترجمين ومحررين شاركوا في عملية الترجمة. تضمّنت المقابلات أسئلة مفتوحة حول دوافعهم لاختيار استراتيجيات معينة، والتوجهات الأيديولوجية، ودور القارئ البالغ، والموقع الاجتماعي والثقافي للنصوص المترجمة. ضمانًا للتنوع والموضوعية، أجريت المقابلات بشكل فردي مع مشاركين من خلفيات عمرية وأيديولوجية وجندرية متعدّدة. كما أسهم هذا الجزء النوعي في كشف جوانب من عملية الترجمة لا يمكن الوصول إليها عبر تحليل النصوص فقط، مثل الدوافع الشخصية أو تأثير التوجهات المؤسسية.

³⁴ انظر: Chesterman, *Memes of Translation*, 94

³⁵ انظر: Newmark, *A Textbook of Translation*, 45; Ibid., 94

- أسلوب جمع البيانات

اتباع التحليل الكميّ منهجًا قائمًا على تحليل المتن (Corpus-based approach)، اعتمادًا على تصنيف نيومارك للعناصر الثقافية الخاصّة وتصنيف تشيسترمان لاستراتيجيات الترجمة³⁶. وتمّ تنفيذ التحليل على مراحل:

1. تحديد العناصر الثقافية الخاصّة في النصوص الأصليّة (الإنجليزية) لـ 31 قصّة.
2. تصنيف هذه العناصر وفق تصنيف نيومارك، الذي يميّز بين مكونات الثقافة البيئية، الماديّة، الاجتماعيّة، المؤسّساتيّة، العادات والإيماءات.
3. مقارنة كلّ عنصر بالترجمة الموجودة في النصّ الهدف (العربيّ).
4. تحديد الاستراتيجيّة الترجميّة المتّبعة في كلّ حالة باستخدام نموذج تشيسترمان³⁷.
5. جدولة البيانات في جدول موحد يتضمّن: اسم القصّة، العنصر الثقافيّ، تصنيفه، ترجمته، والاستراتيجيّة المتّبعة.
6. تحليل تكرار الاستراتيجيات واستخراج البيانات الإحصائيّة لتحديد الأنماط المتكرّرة والميل العامّ في الترجمة.
7. إجراء المقابلات النوعيّة مع المترجمين والمحرّرين لفهم الدوافع وراء استخدام هذه الاستراتيجيات.
8. دمج البيانات الكميّة والنوعيّة وتحليلها ليس فقط لفهم ما تُرجم، بل أيضًا لماذا اختيرت هذه الطريقة.

³⁶ انظر: Newmark, *A Textbook of Translation*, 94; Chesterman, *Memes of Translation*, 85.

³⁷ انظر: Chesterman, *Memes of Translation*, 85.

تحليل النتائج الكميّة

تُظهر البيانات أنّ استراتيجيّة التصفية الثقافية (Cultural Filtering) كانت الأكثر استخدامًا بنسبة 36.3%، ما يشير إلى توجّه واضح نحو تكييف النصوص لتناسب مع المرجعيّة الثقافية للقراء في الثقافة الهدف. تليها تغيير درجة الوضوح (Explicitness Change) بنسبة 25.7%، ثمّ تغيير المعلومات (Information Change) بنسبة 17.7%. أما الترجمة الحرفيّة (Literal Translation) والترجمة الافتراضية (Loan Translation) فلم تُستخدما إطلاقًا.

استُخدمت استراتيجيّة التعميم (Hyponymy - Generalization) بنسبة 11.5%، وفيها تُستبدل كلمات دقيقة في اللغة الأصليّة بكلمات أعمّ وأكثر شيوعًا. مثال على ذلك ترجمة كلمة "Huckleberry" إلى "توت"، ما يجعل المصطلح أكثر فهمًا للطفل العربي على حساب فقدان التحديد الأصلي.

أما استراتيجيّة التخصيص (Hyponymy - Specification) فظهرت بنسبة ضئيلة (0.9%)، كما في ترجمة "Clothes tied around the waist" إلى "زُنَّار"، وهي كلمة تحمل معنى ثقافيًا فلسطينيًا تقليديًا قويًا.

التصفية الثقافية كانت بارزة جدًّا في أمثلة مثل:

"Watch out, shrimp!" انتبه يا حشرة!"

فاختيرت "حشرة" بدلًا من "جمبري او قريدس" لتفادي التباس دلالي، نظرًا لأن الجمبري يُعدّ طعامًا فاخرًا في الثقافة العربيّة.

تغيير درجة الوضوح:

الزيادة في التوضيح (Explicitation)

"Marmalade cat" - "قطّة برتقاليّة" لتوضيح المقصود للقارئ.

التقليل من التوضيح (Implication)

"Kickball" - "لعبة الكرة"، فتُحذف تفاصيل اللعبة لزيادة الفهم وسهولة التلقّي.

الاقتراض (Borrowing) استخدم بنسبة %6.2. كما في "Abracadabra" - "أبراكادابرا"، وهو مثال على إدخال عنصر أجنبيّ معروف لدى الجمهور دون ترجمته.

المرادفات (Synonymy) ظهرت بنسبة %1.8، كما في ترجمة "Not a sound" إلى "لا حسّ ولا نسّ"، وهو تعبير مألوف في اللغة العربيّة يعكس الصمت التام بإيقاع صوتيّ معبّر.

تغيير المعلومات (Information Change) بنسبة %17.7، كان حاضرًا في حالات مثل: "Toasting my marshmallow" - "شويت لي البطاطا"، وهنا استُبدل مكوّن غير مألوف بمكوّن أكثر ارتباطًا بثقافة الطفل العربيّ.

هذه النتائج توضح أنّ المترجمين فضّلوا استراتيجيّات تُقلّل من حضور الثقافة المصدر وتُعزّز من ألفة النصّ في الثقافة الهدف، وقد أكّد إيفير أنّ هذه الاستراتيجيّات، مثل التصفية الثقافيّة والتوضيح وتغيير المعلومات، تندرج ضمن نهج يُعلي من شأن الثقافة الهدف، مقابل استراتيجيّات مثل الترجمة الحرفيّة والاقتراض التي تُبرز الثقافة المصدر³⁸.

اللافت أيضًا أنّ نسبة استراتيجيّة الترجمة الحرفيّة والاقتراضيّة كانت صفرًا، وهو ما يعكس رغبة واضحة في الابتعاد عن الترجمة المباشرة، وتفضيل التكيّف الثقافيّ، خصوصًا في النصوص الموجّهة للأطفال. هذا يُشير إلى توجّه جماعي لدى المترجمين نحو التدجين، حتى عند اختلاف المترجمين من قصّة إلى أخرى.

³⁸ انظر: V. Ivir, "Procedures and Strategies for the Translation of Culture", *Indian*

كما أشار إيفير، لا يوجد خيار استراتيجي واحد يناسب كلّ عنصر ثقافي، بل يُتخذ القرار بحسب طبيعة كلّ حالة، وظروف التواصل، والسياق الاجتماعي والثقافي. وهذا التنوع في الخيارات يعكس وعي المترجمين العميق بخصوصيات كلّ موقف ترجمي.

تحليل المقابلات

استند الجزء النوعي من هذه الدراسة إلى مقابلات شبه منظمة أُجريت مع شخصيات رئيسية مشاركة في مشروع مكتبة الفانوس (مترجمين ومحررين). تضمّنت المقابلات أسئلة مفتوحة تركّز على استراتيجيات الترجمة المتبعة، والاعتبارات الثقافية والأيدولوجية، والانطباعات حول الجمهور المستهدف، وآراء المشاركين بشأن دور الأدب المترجم في الحفاظ على الهوية الثقافية. أُجريت المقابلات عبر الإنترنت، وشمل ذلك تسجيلها ثمّ تفريغها. شارك عشرة أشخاص في المجلد، من الذكور والإناث، ممن يشغلون أدوارًا مهنية مختلفة في المشروع.

- الجمهور المزدوج وتحديات الترجمة

يتميّز أدب الأطفال بخصوصيته الفريدة نظرًا لاستهدافه جمهورًا مزدوجًا: الأطفال والبالغين. ولذلك، سعت هذه الدراسة إلى فهم ما إذا كان المترجمون يأخذون في الاعتبار هذا البعد عند ترجمة العناصر الثقافية. أقرّ كثير من المشاركين بأهمية القارئ البالغ، مشيرين إلى أنّ الكبار -سواء كانوا أولياء أمور أو معلّمين- يُعدّون وسطاء ثقافيين يساعدون الأطفال على فهم نصوص قد تكون مليئة بعناصر أجنبية أو غير مألوفة. بعض المترجمين تركوا عمدًا فجوات ثقافية في النصوص، بناءً على أنّ دور الكبار هو ملء هذه الفجوات وشرحها للأطفال.

عندما سُئل أحد المشاركين عمّا إذا كان يضع القارئ البالغ في الحسبان عند ترجمته لأدب الأطفال، قال: "الجواب المباشر هو لا. لكن الجواب المعقد يعتمد على لمن أترجم،

ومع أيّ مؤسّسة". بينما قالت أخرى: "أبقي الكلمات الصعبة، حتى إن لم تكن متداولة، وأضيف هامشًا للشرح. دور الأهل هو الشرح وليس تبسيط كل شيء".

أوضحت محرّرة في مكتبة الفانوس الدور الحاسم الذي يؤدّيه القارئ البالغ في عمليّة الوساطة. في كتب مثل "كيف نداوي جناحًا مكسورًا"، التي تدور أحداثها في مدينة أمريكية بها سيارات أجرة صفراء وناطحات سحاب، قد يجد الأطفال هذه العناصر غريبة عليهم. وهنا يأتي دور القارئ البالغ لمساعدة الطفل على فهم هذه الجوانب.

- بين التّكليف الثقافي والحفاظ على الأصل

اختلفت ممارسات المترجمين في التعامل مع العناصر الثقافية، بين من يُفضّلون توطّن النصوص لتلائم السياق المحليّ، ومن يحرصون على الحفاظ على ثقافة المصدر. البعض استبدل عناصر أجنبية بأخرى مألوفة - مثل استبدال "البروكلي" بـ "الخس"، "مغامرات سندباد" بدلًا من "ساحر أوز"، و"على دلّعونا" بدلًا من "روك أند رول"، حرصًا على أن يشعر الطفل بالقرب من النصّ. عبّر أحدهم عن موقفه بقوله: "أريد أن أوّجه طفلي إلى ما أراه مناسبًا دينيًّا وأخلاقيًّا. لاحقًا يمكنه أن يقرأ ما يشاء، لكن الآن أريد أن أحافظ على ثقافته".

ومع ذلك، حذّر آخرون من الإفراط في التوطّن، لأنّ ذلك قد يُشوّه النصّ الأصليّ. قال أحدهم: "لماذا أجعل الطّفل يظنّ أنّهم يغتّبون على دلّعونا في نيويورك؟ أنا أخلق له واقعًا زائفًا، لأنني لا أثق بقدرته على الفهم".

وأكد مؤيدو التّغريب أهميّة الحفاظ على ثقافة المصدر، استنادًا إلى أنّ ذلك يُوسّع أفق الطفل ويُعرفه على تنوّع العالم. في هذا الخصوص، علّق أحد المترجمين: "لا أكيف القصة ثقافيًّا. إذا كان فيها "سوشي"، أتركها "سوشي". يستطيع الطفل البحث في "جوجل".

- تحديات التنوع داخل المجتمع العربي

التنوع داخل الأقلية العربية في إسرائيل يُضيف بُعدًا إضافيًا من التعقيد. جرى التطرق إلى مسألة التنوع الثقافي داخل هذه الأقلية، مع تأكيد أهميّة اختيار كتب تتماشى مع تجارب هذه الفئات المختلفة وقيمها. وقد أُشير إلى أنّه حتى النصوص التي لا تتماشى بالكامل مع تجارب مجتمعات معيّنة، مثل البدو في النقب أو العرب في الشمال، يمكن أن تُستخدم كأدوات فعّالة لنقل الثقافة. فهذه النصوص تتيح فرصة لتعريف الأطفال بالتنوع الثقافي داخل مجتمعاتهم نفسه، وتشجّعهم على تجاوز دوائرهم الضيقة نحو فهم أوسع لمجتمعات وهويات مختلفة. وأبرزت أهميّة أنّ هذا التنوع يُمكن أن يثير الفضول لدى الأطفال ويشجّعهم على طرح الأسئلة، ما يُغني فهمهم وتقديرهم للثقافات المختلفة داخل مجتمعاتهم.

وأشير أيضًا إلى أنّ هذا التنوع داخل المجتمع الفلسطيني في إسرائيل يُعقد عمليّة الترجمة، فالكلمة ذاتها قد لا تكون مألوفة في جميع المناطق. فمثلًا، الطفل في بئر السبع قد لا يشبه الطفل في الشمال من حيث البيئة أو التعبير. هذا التنوع يشكّل تحدّيًا للمترجم الذي يترجم لجمهور واسع داخل أراضي 48. ولتجاوز هذا التحدي، يُتوقع من القارئ البالغ أن يلعب دورًا محوريًا في نقل هذه الاختلافات للأطفال، ما يجعل من هذا الدور فرصة ثمينة لإغناء الثقافة.

بالإضافة إلى دور القارئ البالغ، كان تأكيد أهميّة الاستعانة بشبكة من الأشخاص من مناطق مختلفة لضمان دقّة الترجمة ومراعاتها للاختلافات. على سبيل المثال، عند ترجمة كلمة "كنزة"، تُستخدم كلمة "جرزاي" في بعض المناطق، بينما يُقال "كنزة" في الشمال القريب من لبنان. وبالنسبة للعبة "الغميضة"، يُستخدم أحيانًا "طماية" أو "غمّاية"، حسب المنطقة. هذا التوجّه يبرز ضرورة إدماج الفروق اللغوية الإقليمية لإنتاج ترجمات شاملة ثقافيًا ولغويًا.

وإلى جانب التنوع اللغوي والثقافي، يشكّل التنوع الديني أيضاً عنصراً مهماً في الترجمة. شارك أحد المترجمين تجربته في ترجمة كتاب كُتب في الأصل باللغة الإنجليزية لمجتمع يهودي متدين في الولايات المتحدة، ثمّ عُذِل لاحقاً ليناسب جمهوراً علمانياً. وعند ترجمته إلى اللغة العربيّة، كان لا بدّ من التأكّد من أنّ النّصّ مناسب لجمهور متنوع يشمل مسلمين، ومسيحيين، ودروز، باختلاف درجات التدين لديهم. وقد تطلّب ذلك معالجة دقيقة لكلّ من النصوص والرسومات التوضيحية بما يتلاءم مع الخلفيات الدينية والثقافية المختلفة.

وذُكرت الصعوبات التي ترافق ترجمة محتوى يتناول مناطق مختلفة داخل المجتمع، إذ تختلف الحساسيات الثقافية من مكان لآخر. وتستدعي النصوص السياسيّة والدينيّة حرصاً خاصاً لضمان تقديمها بطريقة مناسبة وذات مغزى.

- آليات التحرير والرقابة

أوضح أحد المشاركين أنّ مشروع الفانوس، كونه تابعاً لوزارة التربية والتعليم، يمارس رقابة ذاتية كبيرة ليتماشى مع توجّهات ومعايير تعليمية وثقافية معيّنة. تختار اللجنة حوالي اثنين وثلاثين كتاباً سنوياً تغطّي جميع الفئات العمريّة، وتعرض هذه القائمة على المشرف في الوزارة. إذا لم يُوافق على أحد الكتب، يُستبدل بكتاب آخر. بناءً عليه، يُصمّم المشروع بأكمله لينسجم مع توقّعات وتوجّهات وزارة التربية والتعليم، وضمان توافقه مع المنهج الدراسي. وأشار أيضاً إلى أنّ اختيار الكتب يتأثر بآراء المربّين والمربّيات، لا سيّما في رياض الأطفال والصفوف الأولى، أحياناً نتيجة لعوامل دينية أو ثقافية أو اجتماعية. وبالتالي، إذا لم يُعدّ الكتاب مناسباً وفقاً لأيّ من هذه العوامل، قد يرفض المربّون عرضه للأطفال في الصف.

يشير أحد المترجمين إلى أنّ العمل ضمن مشروع الفانوس يتطلّب منه وضع توقّعات الكبار بالحسبان، إذ تشير اللجنة أحياناً إلى مدى ملاءمة الترجمة للأطر التربوية. بناءً على

ذلك، يضطرّ إلى تقديم تنازلات معيّنة، وذلك لضمان ملاءمة الكتب للمعايير الثقافية والتعليمية، وفي الوقت نفسه الحفاظ على جاذبيتها للأطفال. وقد ذكر أنّ تجربته مع الفانوس تختلف عن ترجماته في مكتبات ودور نشر أخرى، إذ يتطلّب الأمر الالتزام بتوجيهات واضحة وتوقعات تحريرية تؤثر في قرارات الترجمة أحياناً.

من جهة أخرى، يشرح أحد المحررين أنّ عملية التحرير دقيقة، وتشمل ملاحظات على القواعد المناسبة لكلّ فئة عمرية، ومباني الجمل، والمفردات، وملاءمة المحتوى ثقافياً. يتعلّم المترجمون ذلك تدريجياً من خلال الممارسة والرجوع إلى مصادر بحثية. كما يؤكّد أهمية الانسجام مع تدقّق اللغة العربية الطبيعي، وتكوين قائمة كلمات ذات أهمية ثقافية لتحديد الطريقة الأنسب لمعالجتها. يشكّل التعامل مع الأسماء والمصطلحات تحدياً، فعلى سبيل المثال، قد يكون اسم "جورج" حسّاساً في بعض المناطق ذات الغالبية المسلمة، بسبب دلالاته الدينية والثقافية. أما الشخصيات الشهيرة مثل "جورج الفضولي"، فمن الصعب تغيير اسمها دون مسّ جوهر الشخصية.

تُعامل كلّ قصّة على أنّها حالة خاصّة وقد تتطلّب تعديلات، مثل استخدام الفوتوشوب لتعديل رسومات وُصفت بأنّها غير مناسبة، كصورة فتاة ترتدي شورتاً من طراز السبعينات، ما أثار اعتراضات بسبب طوله. مثال آخر هو كتاب يظهر مادبة ملكية فيها كؤوس نبيد، فترجمت كلمة "نبيد" إلى "عصير" لتفادي الإشارة إلى المشروبات الكحولية المحرّمة دينياً. كذلك، فضّل تجنّب نشر كتاب فيه شخصية خنزير بسبب الحساسية المحتملة لدى الكبار، وأثير جدل كبير حول استخدام كلمة "يلعق" على الرغم من ورودها في سياق بريء يتعلّق بتناول البوظة. تتجنّب اللجنة الكتب التي تتضمّن لباساً كاشفاً أو رموزاً ثقافية معيّنة، والهدف الأساسي من ذلك هو تجنّب اعتراضات الكبار وضمان ملاءمة المحتوى لجميع السياقات الثقافية والتعليمية.

يوضّح محرّر آخر في المشروع أنّ الكتاب يكون قد اختير وعُدل وترجم قبل أن يصله، وتركيزه الأساسي يكون على فحص الترجمة من حيث الجودة الأدبية واللغوية. ويضيف أنّ

التعديلات أحيانًا تشمل تغييرات في المصطلحات حسب درجة شيوعها، وغالبًا ما تُطرح مسألة الأسماء ومدى ملاءمتها ثقافيًا. ويؤكد أهميّة العمل مع المترجمين بطريقة حوارية، قائلاً إنّ التحرير ينطوي على قدر من السلطة، لكنّ العلاقة مع المترجمين قائمة على التفاهم المشترك، ويُراجع بدقّة كلّ كلمة وجملة للتأكد من دقّتها وفهمها.

المناقشة والاستنتاج

لقد تناول هذا البحث استراتيجيات الترجمة للعناصر الثقافية الخاصّة من اللغة الإنجليزيّة إلى اللغة العربيّة في قصص مكتبة الفانوس، موضّحًا كيف تعكس هذه الاستراتيجيات التعقيدات الثقافيّة، والأيديولوجيّة، والسياسيّة التي تواجه الأقلية العربيّة في إسرائيل، وكيف تستجيب لهذه التعقيدات. ومن خلال دمج المعطيات الكميّة مع رؤى المقابلات، تسلّط الدراسة الضّوء على الدور الحساس الذي تلعبه الترجمة في تشكيل الهويّة الثقافيّة وتحقيق توازن دقيق بين المحافظة والانفتاح العالميّ.

- التّكليف الثّقافيّ (التّوطين)

أظهرت نتائج الدراسة أنّ أكثر الاستراتيجيات استخدامًا هي: التصفية الثقافيّة، وتغيير درجة الوضوح، وتغيير المعلومات. تساعد هذه الاستراتيجيات في تكيف النصّ الأصليّ من خلال إزالة العناصر الأجنبيّة أو تعديلها، مما يُقرب النصّ من ثقافة القارئ العربيّ المحليّ. وقد عكست المقابلات هذا التوجّه بوضوح، فأشار كثير من المترجمين إلى أنّ هذا التوجّه لا يهدف فقط للحفاظ على الثّقافة العربيّة، بل يشمل كذلك جوانب دينيّة، وتعليميّة، واجتماعيّة.

وعلى الرّغم من هيمنة التّكليف، كشفت الدراسة عن وجود تيار فرعيّ لدى بعض المترجمين الشباب الأقلّ تديّنًا يميل نحو الحفاظ على ثقافة المصدر (التّغريب)، من منطلق إيمانهم بقيمة الانفتاح الثّقافيّ وأهمية تنشئة جيل متقبل للآخر. هذا الانقسام

يعكس خلافاً أيديولوجياً أوسع داخل المجتمع العربي في إسرائيل حول دور أدب الأطفال: هل هو أداة لتعزيز الهوية والانتماء أم نافذة على العالم؟

- الحفاظ على اللغة والثقافة

بحسب محاميد، تميل الأقليات إلى حماية تراثها الثقافي واللغوي كوسيلة لمقاومة سياسات الهيمنة، وهو ما ينطبق على المجتمع العربي في إسرائيل³⁹. وقد أشار المترجمون في المقابلات إلى أن أحد أهدافهم من تكييف النصوص هو تعزيز العلاقة بين الطفل وهويته الثقافية واللغوية، لا سيما في ظلّ تهديد الاندماج القسريّ سواء مع الثقافة الإسرائيليّة أو الثقافات الغربيّة العالميّة. يُظهر هذا التوجّه الترجميّ التزامًا بإغناء مفردات الطفل العربيّ واستبدال الكلمات الأجنبية بمكافئات عربيّة مألوفة ثقافيًّا، وذلك كوسيلة للحفاظ على الخصويّة الثقافيّة واللغويّة في سياق أقلويّ مهدّد.

- تعزيز الروابط داخل المجتمع العربيّ

يضمّ المجتمع العربيّ في إسرائيل أطيافاً واسعة من المجموعات الفرعيّة المتنوّعة لغويًّا واجتماعيًّا ودينيًّا. ولهذا، قد يكون أحد دوافع التكييف هو بناء جسور بين هذه الفئات. على سبيل المثال، اختار أحد المترجمين استخدام كلمة "كحش" في وصف طائر الشنار، وهي كلمة مألوفة في إحدى المناطق المحليّة، موضّحاً أنّ الهدف هو إثارة فضول الطفل ليطرح أسئلة عن التنوّع الداخليّ ويكتشفه.

تُبرز ممارسات كهذه قدرة الترجمة على تعزيز الفهم الداخليّ المتبادل بين المجموعات الفرعيّة، ممّا يخلق تماسكاً مجتمعيًّا دون محو الفروق. يرى المترجمون أنّ إدخال مفردات محليّة يعزّز الهوية الجماعيّة من جهة، ويُرسخ احترام الآخر من جهة أخرى. وكما عبّر

³⁹ انظر: حاتم محاميد، "المنهاج المدرسيّ وبلورة الهوية لدى الشبيبة الفلسطينيّة في جهاز التعليم العربيّ في

أحدهم: "نحن لا نتحدّث عن نفس الطّفل. هناك طفل من النقب، وآخر من الشمال، ولكلّ منهم اختلافاته".

- تلبية توقّعات الجمهور المتعدّد

لا يقتصر جمهور القصص المترجمة في هذا المشروع على الأطفال فقط، بل يشمل أيضاً الأهالي والمعلّمين، والأهمّ من ذلك لجنة التحرير في مكتبة الفانوس. وهذا يُعقّد مهمّة المترجم، فيضطرّ الأمر في كثير من الأحيان إلى إحداث توازن دقيق بين البساطة التي تجذب الأطفال والرسائل التي ترضي الكبار.

في بعض الحالات، يختار المترجمون التكييف لإرضاء الأهالي أو لتلبية معايير لجنة التحرير. وقد أظهرت المقابلات أيضاً أنّ هناك فجوة بين ما يُفضّله الكبار من قيم تعليميّة، وبين ما يُفضّله الأطفال من حبكة مليئة بالمرح والمشاكسة. وأشارت إحدى المحرّرات إلى أنّ الأطفال في الاستبيانات يفضّلون القصص المرحة، بينما يُقيّم المعلّمون القصص بناءً على مضمونها التربويّ.

هناك أيضاً مقاومة من بعض البالغين لأدب الأطفال المترجم، إذ يفضّلون أن يقرأ الأطفال نتاجاً محليّاً يُعبّر عن الثقافة الفلسطينيّة. علّق أحدهم: "نحن لا نعرف حتى ما إذا كنّا على صواب أم خطأ في فكرة أنّنا ما زلنا بحاجة إلى تربية أطفالنا على حبّ المناقيش، مثلاً، أو الحفاظ على ثقافة الزعتر، أو معرفة ألوان العلم الفلسطينيّ، أو معرفة التهوديات التي كانت الجدّة تغنّيها لهم. هذه أشياء جميلة ولطيفة. لكنّي لا أعرف ما هي المهارات التي سيحتاجها ابني بعد عشرين عاماً ليؤسّس شركة أو ليطوّر حياة مهنيّة".

مع ذلك، أظهرت نتائج غير رسميّة أنّ القراء الكبار يتجاوبون مع القصص عندما تعكس قيمًا مألوفة. ففي النّقب مثلاً، حظيت قصّة معيّنة بتقدير عالٍ لأنّها تناولت قيمة الكرم، وهي قيمة راسخة في الثّقافة المحليّة. يشير هذا إلى أنّ الترجمة التي تعكس القيم المشتركة تُسهّل تقبّل الكبار لها وتُقوّي الروابط بين النّصّ والقارئ.

- دور لجنة التحرير

أظهرت المقابلات أنّ لجنة التحرير تلعب دورًا حاسمًا في تحديد ما يُنشر وما يُرفض. فهي تميل إلى تعديل أي عناصر قد تتعارض مع القيم الدينيّة أو الثقافيّة، مثل تغيير كأس نبذ إلى كأس عصير في الرسومات. وقد أشار البعض إلى أنّ هذه الرقابة تُنتج معايير محدّدة تدفع المترجمين إلى ممارسة رقابة ذاتيّة.

في هذا السّياق، يبدو أنّ التّوطين أصبح ممارسة ترجميّة سلوكيّة غير مكتوبة لدى مترجمي المكتبة. فكما يقول توري، تُترجم المعايير والقيم المشتركة في أيّ مجتمع إلى "تعليمات أداء" تُحدّد ما هو مقبول وما هو مرفوض⁴⁰. وتُمارس هذه المعايير أحيانًا ضمنيًا دون الحاجة إلى إعلانها. ومن هذا المنطلق، يُمكن اعتبار التّكييف الثقافيّ في مكتبة الفانوس معيارًا سائدًا ناتجًا عن تفاعل عوامل شخصيّة، ومؤسّسيّة، واجتماعيّة.

- العمر والتّوجّه الدينيّ كمحدّدات للموقف من التّرجمة

أظهرت المقابلات أنّ الفروق في مواقف المترجمين تجاه التّكييف والتّغريب ترتبط بعوامل مثل العمر والانتماء الدينيّ. فالمترجمون الشباب والأقلّ تديّنًا غالبًا ما يميلون إلى التّغريب، مؤمنين بأهميّة تعريف الطفل بثقافات متنوّعة لإعداده لعالم معلوم. في المقابل، يميل المترجمون الأكبر سنًا أو المحافظون دينيًّا إلى التّوطين، لأنّهم يرون أنّ الحفاظ على الهويّة الثقافيّة والدينيّة أولويّة لا يمكن مساسها. يقول أحدهم: "المترجم المتديّن لديه خطوط حمراء لا يمكنه تجاوزها، بعكس المترجم غير المتديّن".

تؤكّد هذه الفجوة الأيديولوجيّة أنّ التّرجمة ليست مجرد عمل لغويّ، بل هي ممارسة ثقافيّة مشحونة بالصراعات بين الانفتاح والانغلاق، بين حماية الهويّة والانخراط في

⁴⁰ انظر: G. Toury, *Descriptive Translation Studies and Beyond* (Amsterdam: John

العالم. في السياق الإسرائيلي، تزداد هذه التوترات تعقيدًا بسبب هيمنة الرواية اليهودية، وغياب السردية الفلسطينية عن المناهج الرسمية.

إجمال

توضّح نتائج هذا البحث أنّ الترجمة في أدب الأطفال ليست مجرد مسألة تقنية، بل هي ممارسة ثقافية تحدّد صورة الطفل العربيّ عن نفسه وعن العالم. فالاعتماد المفرط على التوطين قد يحصر الطفل في إطار محليّ ضيق، بينما الإفراط في التغريب قد يقطع الصلة بجذوره اللغوية والثقافية. لذلك أرى أنّ التوجّه المطلوب هو صياغة رؤية أوسع للترجمة تجعلها جسرًا بين المحليّ والعالميّ: ترجمة تعزّز ثقة الطفل بلغته وهويّته من خلال الحفاظ على لغة عربيّة فصيحة وسليمة، وفي الوقت نفسه تفتح أمامه أفقًا رحبًا للتفاعل مع الثقافات الأخرى عبر إبراز الطابع المترجم للنصّ. فالتصّ المترجم يجب أن يظلّ وفياً للعربية من الناحية اللغوية، لكنه في الوقت ذاته يُظهر أنّه ينقل تجربة ثقافية مختلفة، فيتيح للطفل أن يقارن بين ذاته والآخر، وبهذا تصبح الترجمة وسيلة مزدوجة: تقوّي لغته الأم وترسخ انتماءه، وتُعرّفه في الوقت نفسه على تنوع إنسانيّ واسع، فيجد هويّته ليس فقط بما هو مألوف لديه، بل أيضًا عبر مواجهة الاختلاف وطرح الأسئلة حول نفسه وتاريخه وثقافته. وأبقى على أمل أن أسهب أكثر في مقالات لاحقة في بلورة هذا الرأي، استنادًا إلى نتائج أوسع وملاحظاتٍ المباشرة حول المشهد الراهن لأدب الأطفال المترجم.

القيود والتوصيات لأبحاث مستقبلية

على الرغم من أنّ هذه الدراسة تقدّم رؤى قيّمة حول ممارسات الترجمة في مكتبة الفانوس، إلا أنّه من المهمّ الإشارة إلى بعض القيود الملائمة لتصميمها ونطاقها. توضّح هذه القيود إمكانيّات تطوير الأبحاث مستقبلًا، وتوسيع الفهم المتعلق بممارسات الترجمة في صفوف الأقلية العربية في إسرائيل.

أحد القيود الرئيسية في هذا البحث هو استثناء الأهالي والمعلمين من الدراسة (المقابلات). مع أنهم يلعبون دورًا محوريًا في تشكيل تجربة الأطفال مع الأدب المترجم، فقد ركزت هذه الدراسة على وجهات نظر المترجمين ولجنة تحرير مكتبة الفانوس. في المستقبل، يمكن أن تُستكمل هذه النتائج عبر دمج وجهات نظر الأهالي والمربين، ما سيوفّر فهمًا أوسع لكيفية استقبال القصص المترجمة واستخدامها في البيئات الأسرية والتعليمية.

أما القيد الآخر، فيتعلّق بالإطار الزمني للدراسة، فقد اقتصر التحليل على مجموعة القصص حتى عام 2020. هذا الإطار الزمني لا يشمل تأثير الأحداث العالمية والمحلية اللاحقة، مثل جائحة الكورونا أو التوتّرات السياسيّة والاجتماعيّة المستمرة، مع أنّ النتائج تبقى ذات صلة لفهم التوجّهات العامّة والتحدّيات في ممارسات الترجمة داخل المجتمع العربيّ. وبالتالي، يمهد هذا البحث الطريق أمام دراسات مستقبلية تبحث في تطوّرات الترجمة في ظلّ انعكاس هذه الأحداث.

ينحصر هذا البحث في دراسة عيّنة محدّدة من قصص "مكتبة الفانوس" المترجمة للأطفال العرب في الداخل الفلسطينيّ. وتكتسب هذه العيّنة أهميّة خاصّة لكون "مكتبة الفانوس" المشروع الرسميّ الوحيد المعتمد من وزارة التربية والتعليم والموزّع على مجمل الأقلية العربيّة في إسرائيل، الأمر الذي يجعل من نتائجه مؤشّرًا ذا دلالة على أولويّات هذه الأقلية الثقافيّة والتربويّة. ومع ذلك، فإنّ اقتصار التحليل على هذه السلسلة لا يعكس بالضرورة استراتيجيّات الترجمة المعتمدة في دور نشر أخرى، والتي قد تختلف تبعًا لأهدافها الخاصّة وتوقّعات جمهورها. لذلك، قد يشكّل توسيع البحث مستقبلًا ليشمل مشاريع ترجمة أخرى، سواء في الضفة الغربيّة أو في دول عربيّة مجاورة أو حتى في أوساط أقليّات عربيّة في مجتمعات غير عربيّة، فتلك فرصة مهمّة لاكتشاف أوجه الشبه والتباين في استراتيجيّات الترجمة. مثل هذا التوسّع من شأنه أن يوفّر فهمًا أعمق للتوجّهات المشتركة وللتحدّيات الخاصّة بترجمة أدب الأطفال إلى العربيّة في سياقات ثقافيّة وسياسيّة متنوّعة.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربيّة

محاميد، حاتم. "المنهاج المدرسيّ وبلورة الهوية لدى الشبيبة الفلسطينيّة في جهاز التعليم العربيّ في إسرائيل". النبراس 8 (2014): 48-83.

مرعي، عبد الرحمن. "تأثير العبريّة على اللغة العربيّة". مجلة الرسالة، كفار سابا: الكلية الأكاديمية بيت بيرل، العددان 11-12 (2002): 129-156.

المراجع باللغة العبريّة

بואردى، ب. "הרהורים על הוראת הספרות בין כותלי בתי הספר הערביים בישראל: הטקסט הספרותי הערבי כמכניזם לשינוי תרבותי". בתוך ב. מחילועי. أولشטיין (עורכות)، התפתחות לשונית בקרב דוברי ערבית בחברה רב-לשונית، תל אביב: מכון מופ"ת، 2018، 169-153.

חלבי، ר' &., חגיאזי، נ. "של מי ההיסטוריה הזאת? מורים להיסטוריה בבתי ספר ערביים כקריאת תיגר לציوت. דברים: כתב עת חינוכי של אורנים (2021) : 96-73.

المراجع باللغة الإنجليزيّة

Al-Huri, I. "Arabic Language: Historic and Sociolinguistic Characteristics".

English Literature and Language Review 1, no. 4 (2015): 28-36.

https://www.researchgate.net/publication/307167761_Arabic_Language_Historic_and_Sociolinguistic_Characteristics.

Amara, M. "The Vitality of the Arabic Language in Israel from a Sociolinguistic Perspective". *Adalah's Newsletter* 29 (2006): 1-10.

———. "Ivrit Loanwords in Arabic". In *Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics* 2, 464-467. Leiden: E. J. Brill, 2006.

———. "The Place of Arabic in Israel". *International Journal of the Sociology of Language* 158 (2002): 53-68.

- Baker, M. *In Other Words: A Course Book on Translation*. London: Routledge, 1992.
- Catford, J. C. *A Linguistic Theory of Translation*. London: Oxford University Press, 1965.
- Chesterman, A. *Memes of Translation: The Spread of Ideas in Translation Theory*. Amsterdam: J. Benjamins, 2016. (Original work published 1997).
- Ferguson, C. "Diglossia". Reprinted in Pier Paolo Gigliolo, ed., *Language and Social Context*, 232-251. New York: Penguin, 1972.
- Göhring, H. "Interkulturelle Kommunikation: Die Überwindung der Trennung von Fremdsprachen- und Landeskundeunterricht durch einen integrierten Fremdverhaltensunterricht". In *Kongressberichte der 8. Jahrestagung der GAL*, 4-14. Stuttgart, 1978.
- Henkin, R. "Hebrew Loanwords in Modern Arabic in Israel". In G. Khan, ed., *Encyclopedia of Hebrew Language and Linguistics (EHLL)* 1: 155-161. Leiden: Brill, 2013.
- Ivir, V. "Procedures and Strategies for the Translation of Culture". *Indian Journal of Applied Linguistics* 13, no. 2 (1987): 35-46.
- Krings, H. P. "Translation Problems and Translation Strategies of Advanced German Learners of French". In J. House and S. Blum-Kulka, eds., *Interlingual and Intercultural Communication*, 263-275. Tübingen: Gunter Narr, 1986.
- Larson, M. L. *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. Lanham, MD: University Press of America, 1984.
- Lathey, G. *The Translation of Children's Literature: A Reader*. Clevedon: Multilingual Matters, 2006.

- Lavie, E. *Integrating the Arab-Palestinian Minority in Israeli Society: Time for a Strategic Change*. Ramat Aviv: Institute for National Security Studies, 2018.
- R. Leppihalme, "Relia," in *Handbook of Translation Studies: Volume 2*, ed. Luc van Doorslaer and Yves Gambier (Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, 2011), 126–130.
- . "Culture Bumps: On the Translation of Allusions". English Department Studies, Vol. 2. Helsinki: University of Helsinki, 1994.
- Lörscher, W. *Translation Performance, Translation Process and Translation Strategies*. Tübingen: Gunter Narr, 1991.
- Newmark, P. *A Textbook of Translation*. Hertfordshire: Prentice Hall, 1988.
- . "Translation and Culture". In *Meaning in Translation*, edited by B. Lewandowska-Tomaszczyk, 171-182. Frankfurt: Peter Lang GmbH, 2010.
- Nida, E. A. *Toward a Science of Translating: With Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating*. Leiden: E. J. Brill, 1964.
- Nord, C. *Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained*. London: Routledge, 2014.
- Puurtinen, T. "Translating Children's Literature: Theoretical Approaches and Empirical Studies". In G. Lathey, ed., *The Translation of Children's Literature*, 54-64. Clevedon, England: Multilingual Matters, 2006. (Original work published 1994).
- Robinson, D. *Becoming a Translator: An Accelerated Course*. London: Routledge, 1997.

- Rosenhouse, J. "Colloquial Arabic (in Israel): The Case of English Loanwords in a Minority Language with Diglossia". In J. Rosenhouse and R. Kowner, eds., *Globally Speaking: Motives for Adopting English Vocabulary in Other Languages*, 145-163. Clevedon, UK: Multilingual Matters, 2008.
- Toury, G. *Descriptive Translation Studies and Beyond*. Amsterdam: John Benjamins Publishing, 1995.
- Venuti, L. *The Translator's Invisibility: A History of Translation*. London & New York: Routledge, 1995.
- Vermeer, H. "Is Translation a Linguistic or a Cultural Process?". *Itha Do. Desterro* 28 (1992): 37-49.
- Vinay, J.-P., and J. Darbelnet. *Comparative Stylistics of French and English: A Methodology for Translation*. Philadelphia: J. Benjamins, 1995.